

المعلقة الكورونية لخالد جميل الصدقة - مقارنة تداولية

The Corona Ode by Khaled J al-Sadaqah - pragmatic approach

د. عوض الجميعي

awadaljumaey@gmail.com

جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

ملخص:

يدرس هذا البحث نصَّ "المعلقة الكورونية" لخالد جميل الصدقة؛ معتمداً في تحليلها على المقاربة التداولية (pragmatic approach) ذات العناية بدراسة مكونات الكلام وخصائصه، ووظائف الأقوال اللغوية، وأبعادها، ومدى مناسبتها للموقف التواصلية الذي ترد فيه؛ إمتاعاً وإقناعاً، هذا في جانب، أما في الجانب الآخر، فقد تناولت المقاربة مكونات القصيدة بعناصرها الثلاثة: "المتكلم، والمتلقي، والخطاب".

وقد توصل البحث إلى نتائج، أبرزها: أنَّ قصيدة "المعلقة الكورونية" قد جاءت مناسبة لاستنباط جملة من الأساليب اللغوية والحجاجية ذات الصلة بالملايسات الاجتماعية والسياقية التي أنشئت فيها، وأنَّ مستويات أفعال الكلام للغة والخطاب؛ في أبعادها الثلاثة: البعد الاستعمالي، والإنجازي، والتأثيري، التي وضعها جون أوستن وجون سيرل، ماثلة في القصيدة، كما أن مكونات الخطاب المتمثلة في (المتكلم، والمتلقي، والخطاب) لا تبدو غائبة كذلك.

الكلمات المفتاحية: المعلقة الكورونية، التداولية، تحليل الخطاب، التلقي.

Abstract:

The aim of this paper is to study the Corona Ode by Khaled J al-Sadaqah from the perspective of the pragmatic approach which focuses on the components of the text and its dimensions, to demonstrate the occasion in which the ode was written for. The Covid-19 pandemic has not left a single person in the whole world without a serious bad effect. On the other hand, the study has dealt with the ode in its elements: transmitter- message- receiver. The study has reached that the three dimensions mentioned by J.L.Austin and J.R.Searle: locutionary act, illocutionary act and perlocutionary act have been manifested in the ode.

Key words: Corona Ode, pragmatics, Discourse Analysis, Receiving.

تنهض هذه المداخلة بمقاربة نص شعري للشاعر والكاتب الصحفي السوري " خالد جميل الصدقة " عن كورونا المستجد أسمها المعلقة الكورونية، وهي محاكاة لمعلقة عمرو بن كلثوم: ألا هي بصحنك فاصبحينا. وكان الشاعر قد أشأ هذه القصيدة بعيد انتشار هذا الوباء العالمي، وما أن لبث بعدها حتى توفي في الكويت متأثراً بإصابته بفيروس كورونا المستجد عن عمر ناهز أربعة وستين عاماً. وستقف هذه الدراسة عند هذا الخطاب في ضوء ما ترشح به المقاربات التداولية وتحليل الخطاب، سعياً إلى استظهار مضامين النص وأفكاره ومكوناته، والعوامل التي أدت إلى ولادته والمقصد منه. ومدى تأثيره في المتلقي وعوامل ذلك التأثير.

أولاً: المعلقة الكورونية في ضوء نظرية أفعال الكلام:

تعد نظرية الأفعال الكلامية نظرية سياقية؛ يظهر فيها المعنى من خلال وضع التركيب اللغوي في سياقات مختلفة، وقد ميز أوستن بين ثلاثة مستويات:

الأول: فعل القول

الثاني: الفعل الإنجازي

الثالث: الفعل التأثيري⁽¹⁾

وستقف هذه الدراسة على مدى تحقق تلك المستويات الثلاثة التي تمخضت عنها نظرية جون أوستن ومن تأثر به.

المستوى الأول:

فعل القول ويراد به: التعبير عن المعنى بأصوات وجمل وتراكيب، مع ما في ذلك من تصوير واستعارة وكناية؛ أي يقوم فعل القول على الصوت والدلالة والتركيب⁽²⁾. ومن يتأمل المعلقة الكورونية لا ريب أنه واقع على مكونات فعل القول عند أوستن، فيتجلى النسق الصوتي من خلال استثمار الشاعر لعدد من النبر والتنغيم التي بدت واضحة في مثل: (هي - بكمام - فينا - قصد - وأنا - أكف - نعم - صفقة - مطبقات)، ومن نبر الجمل: (ألا هي - وعقمينا - تفرقنا - فباتوا يائسين - أيا كوفيد لا تعجل علينا - فارجو الله دوما). ويأتي التنغيم في النص في الإيقاع للجمل الخبرية من مثل قوله: (وأنا الجازعون إذا ابتلينا - وأنا المبلسون إذا افتقرنا - وأنا الجاحدون إذا غنينا - وأنا الباخلون إذا ملكنا).

(1) - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، ط1، ص 57.

(2) - للتوسع ينظر: ساميه بن يامنة، تداولية سياق الحال في الفعل الكلامي - دراسة تحليلية تطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1، 2019م، ص 165 وما بعدها.

أما التركيب اللغوي والنحوي فيظهر من خلال ركيزتين أساسيتين؛ الأولى تتجلى في اختيار اللفظ المناسب والثانية سبكه في تركيب بعية إقامة علاقات سياقية بينها، بفعل ما يثريه العقل والذوق الجمالي في بنية النص وترباط أجزائه؛ إذ لا معنى كما يقول الجرجاني: "لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها، مما يفرد فيه اللفظ بالنعته والصفة، وينسب فيه الفضل والمزية دون المعنى، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتامها فيما كانت له دلالة، ثم تبرجها في صورة أبهى وأزین وآنق وأعجب وأحق بأن تستولي على هوى النفس وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب" (3).

ويتراوح الخطاب بين الجمل الفعلية والاسمية التي جاءت في هيئات تركيبية إنشائية وخبرية، وقد غلب عنصر الجمل الخبرية من مثل قوله: "وباء حاصر الدنيا جميعا وفيروس أذل العالمينا.. تغلغل في دماء الناس سرا فباتوا يائسين وعاجزين... يقاتلهم بلا سيف ورمح ويتركهم ضحايا ميتين". كما يبدو التركيب اللغوي والنحوي في استعمال أسلوب الاستفتاح (ألا هي بكمام يقينا).

ويتجلى للمتلقى التشكيل المعجمي الدال على الوباء والمرض من ذلك قوله: (كمام – العاطسين – سعل – فيروس – كوفيد – مرضنا) فهذه الكلمات تؤكد خطورة الوباء وما آل إليه حال الناس من هذا المرض الذي لا سبيل إلى دفعه.

من هنا يتجلى أن الفعل القولي في خطاب القصيدة تكون من أصوات لغوية صيغت في تراكيب نحوية أوصلت للمتلقى أن النص يعالج أوضاعا صحية واجتماعية إذ إن النص بدأ بمقدمة مؤثرة استدعي فيها التراث العربي بواسطة الأخذ والاستمداد والاستعانة أو ما يمكن أن يسمى بالتناسل الذي دخل به الشاعر إلى عقل المتلقى ووجدانه وذلك بقوله:

ألا هي بكمام يقينا رذاذ العاطسين وعقمينا

كما أن لمراعاة السياق والمقام والملابسات الاجتماعية التي صيغ فيها النص قوة في تأثير الخطاب في وعي المتلقى؛ حيث إن القصيدة تناولت موضوعا يتعلق بصحة الإنسان؛ نفسيا واجتماعيا واقتصاديا.

كما أن للتكرار أثره الفاعل في وعي المتلقى إذ ورد تكرار (أنا) في أكثر من موضع، وقد أسهم في ربط الجمل ومواصلة تلقي الخطاب.

المستوى الثاني:

(3) - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، 1992م، ص43.

جاء من مستويات أوستن للأفعال للكلام ما هو مختص بقوة الفعل الكلامي (الفعل الإنجازي) أي الفعل الذي ينجز بقوة اللفظ التواصلية التي تتجلى إما في صيغة جملة خبرية، أو جملة خبرية تتلوها جملة بيانية توضيحية لغرض تواصلية؛ أعني الغرض أو القصد الذي يريده المتكلم من المتلقي لخطابه كأن يكون استفهاماً أو نهياً أو حثاً أو ترغيباً أو تحذيراً⁽⁴⁾.

وعند النظر في بناء القصيدة - موضوع الدراسة - يجد الباحث شواهد كلامية متنوعة بقوة الفعل الكلامي (الفعل الإنجازي)، منها: بيان سبب إنشاء القصيدة تتمثل في: شحذ ذهن المخاطب، ذكر السبل التي ستحقق الغرض من إنشاء القصيدة، وتكمن القوة الإنجازية الثالثة في قوة الحث والإقناع. وقد تجلت هذه القوة في أكثر عبارات النص، المتمثلة في قوله: "وأنا قد هجرنا كل حق وصافحنا أكف المجرمين... وأنا ما شكرنا الله حقاً على نعم أتنا مصبحينا.. وهذي صقعة أولى لنصحوا ونخرج من حياة الغافلين.. وإلا فالمصائب مطبقات ونرجو الله دوماً أن يقينا"، ولعلّ في ذلك من الإقناع ما يجعل المتلقي يعي ما تنشده القصيدة من غرض؛ ترغيباً وحثاً وتحذيراً وترهيباً.

المستوى الثالث:

والمستوى الثالث من مستويات أوستن للأفعال في الكلام: لازم أفعال الكلام أي الآثار التي تحدث عند المخاطب نتيجة الخطاب؛ إذ التركيب والتعبير الذي شكله المتكلم بنبه المتلقي ويحفزه ومن هنا تحدث قوة تأثير الخطاب في المتلقي. حيث إن الشاعر هنا تناول موضوعاً يتعلق بصحة الإنسان والبيئة والأمراض والأوبئة التي تتعرض لها البشرية من حين لآخر، ومن بينها: وباء كورونا. ولا شك أن استعمال المتكلم لأساليب التكرار وتوكيد الجمل بأن يعد من أقوى المؤثرات في المتلقي، وقد ورد في القصيدة عدد من هذه الأساليب بما في ذلك من تكرار الجمل المتوازية التي تصب في توكيد المعنى وتوضيحه.

ثانياً: مكونات القصيدة بعناصرها الثلاثة: المتكلم والمتلقي والخطاب

لما كانت البلاغة هي تحليل للنص من زاوية نظر المتلقي (المستمع/المخاطب/المشاهد/القارئ)، فإن النقد الأدبي المرتكز على التداولية ونظرية التلقي يدرس النص الأدبي بوصفه أثراً جمالياً ذا بعد تداولي. وهنا تكمن نجاعة إسهام التحليل الحجاجي في نظرية الأدب الحديثة على نحو ما ذكره الدكتور محمد مشبال⁽⁵⁾.

(4) - للتوسع ينظر: جورج بول، التداولية، ترجمة: قصي العتاي، الدار العربية للعلوم، دار الأمان، الرباط، ط1، 1413هـ 2010م.

(5) - للتوسع ينظر: محمد مشبال، النص الأدبي القديم من الشعرية إلى البلاغة الحجاجية، بحث منشور في: التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف وتقديم: د. أحمد قادم، ود. سعيد العوادي، كنوز المعرفة، ط1، 1437-2016م، من ص 257-303.

والمعلقة الكورونية خطاب يتجلى فيه غرض معين موجه إلى متلق معين بغية التأثير فيه إقناعاً وإقناعاً؛ أعني إقناعه بمضمون الخطاب ودلالاته. وللولوج إلى قراءة لهذا الخطاب يجدر بنا الوقوف على عناصره التي هي: المتكلم والمتلقي والخطاب.

الخطاب:

الخطاب المدروس هنا هو المعلقة الكورونية، وهو نص أدبي يرد تحت حيز القصائد ذات الملابس والظروف الاجتماعية؛ إذ الموقف والسياق فيه يتصل بوباء كورونا (كوفيد 19). يصف فيه الشاعر هذا الوباء وآثاره على الفرد والمجتمع والبيئة، وقد بدأ الخطاب بأداة الاستفتاح (ألا هي)، مستحضراً المتلقي الغائب على عادة العرب في إنشاء قصائدهم، وهو نداء فيه تهيأ للمتلقين للاستماع والإنصات، وفيه تمهيد لشحن قريحة المتلقي للاستماع وتأويل النص بما ينسجم مع مقصدية المتكلم، وتفاعله مع ما سيرد. فكأن البدء بأداة الاستفتاح (ألا هي) فيها معنى الإيحاء بمناداة المتلقي الحاضر والمتلقي الغائب إذ تحمل في طياتها افتتاحية فاعله ومنسجمة مع المضمون وما يكتنف عناصره من مكونات المقصود بما إيصال رسالة من الباث إلى المتلقي. وهنا بدت (براعة الاستهلال) التي أولاهها النقاد العرب في خضم الموروث النقدي عناية قصوى على الصعيد النظري والإجرائي بما يتعلق بترباط أجزاء القصيدة من الناحية اللغوية والأسلوبية والجمالية. لقد حدد حازم القرطاجني مفيداً من سبقه بنية القصيدة في المطلع وما يتعلق به من مقاطع والفصول ثم الخاتمة.⁽⁶⁾ والقصيدة هنا متوسطة ليست بالقصيرة ولا بالطويلة، وهي ذات غرض واحد، منحت الشاعر إمكانية الإحاطة بجانب المعنى وبلوغ المقصد الذي تتوخاه القصيدة ' إذ لم تتسع لأكثر من غرض. ولذا جاءت وحدتها مترابطة يأخذ بعضها بحجز بعض.

المتكلم:

لا ريب أن للمتكلم فاعلية في بناء الخطاب وتشكيله بغية التأثير في المتلقي، وإقناعه واستمالته، وقد يكون المتكلم سبباً للاقتناع بالخطاب أو رفضه، كما قد يكون في بعض الأحيان معينا في فهم الخطاب.

إن الباث في المعلقة الكورونية هو الشاعر، وهو من تذكر المصادر أنه ممن أصيب بهذا الوباء، وتوفي رحمه الله بعد ذلك، فكأنه الحال كذلك هو الممتمك لسلطة الخطاب، فلم يعد شاعراً عادياً أنشأ قصيدة وكفى. أعني أنه من يقرأ النص الآن وفي ذهنه الظروف والملابسات والسياق الذي قيلت فيه القصيدة من السهل عليه أن يتفاعل مع هذا الخطاب. سيما وقد جاءت مكوناته البلاغية في هيئات تعين على إيصال المعنى المراد وتجعله أكثر فاعلية وتأثيراً في المتلقي. فالشاعر بحكم وضعه المذكور أعطى بعداً تأثيرياً هذا أولاً، ثم بحكم المكونات البلاغية التي

(6) - للتوسع في معرفة مدى عناية حازم القرطاجني بمطالع القصائد، ينظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الحوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص 282 وما بعدها.

استعملها. لقد تهيأ في النص من حسن استهلال، وربط بين أجزاء القصيدة وخاتمة ما يجعل عناصر الإقناع ومبرراته من الشروط التي يجب توفرها في المتكلم قد تحققت مما يضمن نجاح التفاعل⁽⁷⁾.

المتلقي:

إن التواصل والاتصال بين المتلقي والمتكلم أمر ذو أهمية في إنتاج الخطاب وديمومته واستمراره وفاعليته؛ إذ إن المتلقي من منظور النظريات التداولية هو أحد المكونات الثلاثة في تحليل الخطاب، فهو منتج للخطاب بحكم أنه حاضر أمام المتكلم. وهو متهيأ لتلقي الخطاب وللتواصل مع المتكلم مما سيضمن التفاعل مع الباث؛ أعني الشاعر هنا، وتفهم خطابه. إن غرض القصيدة قريب من الواقع نظرا للملابسات الاجتماعية التي قيلت فيها، فكأن المتكلم والسامع أعني المتلقي مشتركان في مقام واحد وفي هذا ضمان لحصول التواصل الفعال بين عناصر الخطاب الثلاثة⁽⁸⁾.

الخاتمة:

نضمت هذه المقاربة بإلقاء الضوء على المعلقة الكورونية لخالد جميل الصدقة: مقاربة تداولية، وجاءت في مطلبين هما: الأول المعلقة الكورونية في ضوء نظرية أفعال الكلام، والثاني: مكونات القصيدة بعناصرها الثلاثة: المتكلم والمتلقي والخطاب، وتوصلت إلى النتائج الآتية:

- المعلقة الكورونية نوع من الخطابات الاجتماعية، أتت في ظرف معين بسبب وباء كورونا.
- تضمن خطاب القصيدة من خلال المقاربة التداولية وتحليل الخطاب أبعاد الفعل الكلامي والفعل الإنجازي والفعل التأثيري التي وردت عند أوستن.
- تجلّى في نص القصيدة دلالات الأنساق الصوتية من خلال استعمال الشاعر لبعض الأصوات الصوتية كالنبر والتنغيم والترجيع والتوازي، وجاءت المكونات البلاغية مترابطة يأخذ بعضها بحجز بعض؛ لتعكس التجربة التي قدمتها القصيدة في ضوء فاعلية السياق.
- كان للفعل الإنجازي في نص المعلقة الكورونية تأثير في المخاطب؛ بكونه خطابا يستحوذ على عناية المتلقي، ولأن المتكلم قد قدم تهيئة مناسبة لذلك ثم لأن القصيدة ناسبت المقام، والغرض الذي أنشئت من أجله.

(7) - محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 1435هـ، 2014م، ص29.

(8) - ينظر: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط3، 2007م، ص66.

- جاء نص القصيدة بعناصره الثلاثة: المتكلم والمتلقي والخطاب، وقد تحققت ركائزه الأساسية لكل عنصر.
- للترابط والتجانس الوظيفي أثر فاعل في فهم دلالة النص وجمالياته؛ إمتاعاً وإقناعاً.

المصادر والمراجع:

- جورج بول، التداولية، ترجمة: قصي العتاي، الدار العربية للعلوم، دار الأمان، الرباط، ط1، 1413هـ 2010م.
- حازم القرطاجني، منهج البلاغة وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- ساميه بن يامنة، تداولية سياق الحال في الفعل الكلامي - دراسة تحليلية تطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1، 2019م.
- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط3، 2007م.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، 1992م.
- محمد مشبال، النص الأدبي القديم من الشعرية إلى البلاغة الحجاجية، بحث منشور في: التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف وتقديم: د. أحمد قادم، ود. سعيد العوادي، كنوز المعرفة، ط1، 1437-2016 م.
- محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 1435هـ 2014م.
- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، ط1.

نص القصيدة:

ألا هُبِّي بِكَمَامٍ يَقِينَا
رِذَاذَ الْعَاطِسِينَ وَعَقْمِينَا
فَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي قَفْصٍ كَبِيرٍ
وَكُورُونَا يَبْتُ الرِّعْبَ فِينَا

إذا ما قد عطسنا دون قصدٍ
 تلاحقنا العيونُ وتزدربنا
 وإن سعلَ الزميلُ ولو مُزاحاً
 تفرّقنا شمالاً أو يمينا
 وباءٌ حاصرَ الدنيا جميعاً
 وفيروسٌ أذلَّ العالمينا
 تغلغلَ في دماءِ الناسِ سرّاً
 فباتوا يائسينَ وعاجزينَ
 يقاتلُهم بلا سيفٍ ورمحٍ
 ويتركُهم ضحايا مَيِّتينا
 أيا كوفيدُ لا تعجلْ علينا
 وأمهلنا نخبرُك اليقيناً
 بأنّا الخائفونَ إذا مرضنا
 وأنا الجازعونَ إذا ابتُلينا
 وأنا المبلسونَ إذا افتقرنا
 وأنا الجاحدونَ إذا غَنينا
 وأنا الباخلونَ إذا ملكنا
 وأنا الغادرونَ بمنْ يلينا
 وأنا قد ظلمنا واقتربنا
 وشوّهنا وجوهَ الصالحينا

وأنا قد هجرنا كلَّ حقٍّ
وصافحنا أكفَّ المجرمين
وأنا ما شكرنا الله حقاً
على نعمٍ أتننا مُصبحينا
وهذي صفةٌ أولى لنصحو
ونخرج من حياة الغافلين
وإلا فالمصائبُ مطبقاتٌ
ونرجو الله دوماً أنْ يقينا